

التبيان في تفسير القرآن

(350) ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبد له من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي إنني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم (15) آية. اخبر الله تعالى في هذه الآية أنه إذا قرأ النبي (صلى الله عليه وآله) على الكفار آيات الله وكلامه، و (بينات) نصب على الحال. وهي الآيات التي أمر فيها عباده بأشياء ونهاهم عن أشياء " قال الذين لا يرجون لقاءنا " أي لقاء عذاب الله أو ما وعدهم به من ثوابه إن أطاعوه " ائت بقرآن غير هذا " الذي تتلوه علينا " أو بدله " فاجعله على خلاف ما تقرأه علينا، وإنما فرق بين قوله " ائت بقرآن غير هذا أو بدله " لأن الاتيان بغيره قد يكون معه، وتبديله لا يكون إلا برفعه، والاتيان بغيره. وإنما لم يرجوا ثواب الله وعذابه لأنهم كانوا غير مقرين بالله ولا معترفين بنبوة نبيه (صلى الله عليه وآله) ولا يصدقونه فيما يخبرهم به عن الله ويذكرهم به من البعث والنشور والحساب والجزاء. وكان قولهم هذا له على وجه التعنت والتسبب إلى الكفر به وتكذيبه، واحتجاجا عليه بما ليس بحجة لأنه (صلى الله عليه وآله) كان قد بين لهم أن هذا القرآن ليس من كلامه وأنه ليس له تغييره وتبديله، فأرادوا أن يوهموا أن الأمر موقوف على رضاهم به، وليس يرضون بهذا فيريدون غيره. وقال الزجاج: إنه كان غرضهم إسقاط ما فيه من عيب آلهتهم وتسفيه أحلامهم ومن ذكر البعث والنشور، فأمر الله تعالى نبيه أن يقول لهم في جواب ذلك: ليس لي " أن أبدله من تلقاء نفسي " أي من جهة نفسي ومن ناحية نفسي كأنه قيل له: قل ليس لي أن اتلقاه بالتبديل كما ليس لي أن اتلقاه بالرد، والتلقاء جهة مقابلة الشيء إلا أنه قد يستعمل ظرفا فيقال: هو تلقاه كما يقال: هو حذاه وقبالتة وتجاهه. قوله " إن أتبع إلا ما يوحى إلي " أي ليس لي أن أتبع إلا الذي يوحى إلي